

سبيل التدرّج لتعلّم النحو العربي انتقاء وترتيب كُتب النحو بين القدامى والمحدثين

The gradual way to learn Arabic grammar is selecting and arranging
grammar books between the ancients and the moderns.

عبد القادر مخدوعة¹*

¹جامعة يحي فارس بالمدينة (الجزائر)، mekhdoua.abdelkader@univ-medea.dz

مخبر الدّراسات المصطلحيّة والمعجميّة

تاريخ الاستلام: 2023/11/16 تاريخ القبول: 2023/12/29 تاريخ النشر: 2024/01/31

© 2024 by the author. Published by the journal of Scientific Research and Studies. All rights reserved.

ملخص:

لقد اهتمّ علماؤنا قديما وحديثا بعلوم العربيّة عموماً، وبعلم النحو خصوصاً اهتماماً ليس له نظير، حتى قيل: إنه لم تلق لغة كما لقيت اللغة العربيّة، من الحفظ، والعناية، والاهتمام، وإنّ المُتنبّع لتعليم العربية يدرك لا محالة أن الاهتمام الذي ينبغي أن يعطى لتعلم العربية عموماً، والنحو خصوصاً، هو الاهتمام بمبدأ "التدرّج" في القراءة والتلقّي، والترتيب، وهما ما تنادي بهما التعلّيمات في هذا الزمان، والجدير بالتّنويه يكمن في المبدأ الذي مُفاده أنّ تعليمات اللغات بمختلف مستوياتها تعني بالحالة التعلّيميّة بوجه عام، وبالمنهجية في التعلم بوجه خاص .
كلمات مفتاحية: التعلّيمات، النحو، التدرّج، المنهجية.

Abstract:

Our scholars, in the past and present, have paid attention to the sciences of Arabic in general, and to grammar in particular, an interest that has no equal, until it was said: It has not received a language as it has received the Arabic language, from memorization, care, and attention, and the follower of teaching Arabic inevitably realizes that the attention that should be given to learning The cart in general, and grammar in particular, is the interest in the principle of "gradualness" in reading, receiving, and arranging, which are what the educational institutions call for at this time, and what is worth noting lies in the principle according to which language instruction at various levels takes care of the educational situation in general, and the methodology of learning in particular.

Keywords: Instructional; incremental; Grammar; methodology.

*المؤلف المرسل

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

إنَّ من أهمِّ علوم اللِّغة الَّتِي ينبغي على المرءِ معرفتُها والإحاطةُ بها علمُ النُّحو، فهو أشرفُ علوم اللِّغة وأجلُّها، لارتباطه بفهم كتاب الله عزَّ وجلَّ، وعليه يتوقَّف استنباطُ الأحكام، وفهمُ المراد من كتاب الله، وسنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليه يعتمد العلماء في استخراج قواعد الشرع، بل إنَّ علم التفسير متوقَّف على فهم علم النُّحو والدِّراية به، فإنَّ كان علم النُّحو بهذه الأهميَّة في فهم كتاب الله، وسنَّة رسوله الَّذِينَ هما ينبوع كلِّ حكمة، ومعدن كلِّ فضيلة، ففي غيره من الكلام من بابٍ أولى، فالكلام لا يُفهم إلا به، ولذا يقول النَّاطم: (العمريطي، د-ت، صفحة 05)

وبعدُ فاعلم أنَّه لَمَّا اقتصرَ	جلَّ الوري على الكلامِ المختصرِ
وكان مطلوباً أشدَّ الطلبِ	من الوري حفظُ اللسان العربي
كَي يفهموا معاني القرءان	والسنَّة الدقيقة المعاني
والنَّحوُ أولى أَوْ لا أن يُعلما	إذ الكلامُ دونَه لن يُفهما

وكلمة "النحو" تطلق في العربية على عدّة معان: منها الجهة، فنقول ذهبت نحو فلان، ومنها الشبه والمثل، فنقول: محمد نحو علي أي شبهه ومثله، وفي الاصطلاح: هو العلم بالقواعد التي تُعرّف بها أحكام أواخر الكلمات العربية في حال تركيبها، وعرفه ابن جني: انتحاء سمت كلام العرب، أي إتباع طريقة كلام العرب، ويُنسب النُّحو إلى أبي الأسود الدؤلي، بأمر من الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه على الصحيح من الروايات، فقد قال أبو القاسم الزجاجي في (أماليه): حدّثنا أبو جعفر محمد بن رستم الطبري قال حدّثنا أبو حاتم السجستاني، حدّثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي، حدّثنا سعيد بن سالم الباهلي، حدّثنا أبي عن جدّي عن أبي الأسود الدؤلي قال دخلتُ على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فرأيتُه مطرقاً متفكراً، فقلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: إني سمعت ببلدكم هذا لحناً فأردت أن أصنع كتاباً في أصول العربية. فقلتُ إن فعلتُ هذا أحببتنا وبقيتُ فينا هذه اللغة، ثم أتيتُ بعد ثلاث فألقى إليَّ صحيفة فيها: -بسم الله الرحمن الرحيم- الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمّى والفعل ما أنبأ عن حركة المسمّى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل، ثم قال لي تتبعه وزد فيه ما وقع لك، واعلم يا أبا الأسود: أنَّ الأشياء ثلاثة: ظاهر، ومضمر، وشيء ليس بظاهر ولا مضمر، وإنما تتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر قال أبو الأسود: فجمعتُ منه أشياء وعرضتها عليه، فكان من ذلك حروف النَّصب، فذكرت منها إن وأن وليت ولعل وكأن، ولم أذكر لكن فقال لي: لم تركتها؟ فقلتُ: لم أحسبها منها، فقال: بل هي منها فزدها فيها. (السيوطي، 2007، صفحة 14)

والنحو رياضة ذهنية ممتعة وهو - كما قيل - فأس العلوم، فهو ضروري لمن يزاول الكتابة والخطابة، ويحتاج إلى النحو في كل فن من فنون العلم ولاسيما التفسير والحديث (المهذري، 2013، صفحة 06)، ولقد كان السلف يؤدّبون أولادهم على اللحن[†] ولا يكون ذلك إلا بالنحو فلقد حاز علم النحو الشرف من جهة شدة الحاجة إليه، ومن خلال هذه المقدمة في بيان أهمية علم النحو ينبغي لطالب هذا العلم أن يستشرف - بما عنده من جهد وهمّة - لمطالعة كتب النحو والإقبال عليها، والنهم من ذخائرها، والوقوف على فوائدها وجمع ما تيسر من المُلح واللّطائف التي جادت بها قرائح علماء هذا الفن "النحاة"، وإن كان هذا غير كافٍ، لأن علم النحو من علوم الآلة التي تتطلب معلماً، لكن مطالعة كتب هذا الفن بالمنهجية التي سنذكرها مفيد للمتعلم غاية الإفادة في بناء معارفه وصقل موهبته، غير أنه يجب أن ينتبه لجملة من المحاذير قبل أن يلج هذا النوع من العلوم، حتى يأمن الزلل، ويتجنب الملل ويحصل المعرفة، ويواصل السير، فينبغي التدرّج في مطالعة الكتب، والبداءة بالمختصرات التي هي طريق المطوّلات، فالذي يهجم على العلم هجوماً من أعلاه، لا يحصل على شيء، وسرعان ما يتعب ويمل ولا يواصل، وإليك -أيها الطالب- هذه التنبّهات، وهي بين نصائح وإفادات وتحذيرات، علّها تكون بمثابة المعلم الهادي والمصباح المنير في طريقك لهذا العلم ثم نذكر أهم الكتب في هذا العلم:

- ✓ أولاً: كُتِبَ النحو كثيرة ومتنوعة، والإحاطة بها فضلاً عن مطالعتها متعذّرة.
- ✓ ثانياً: كُتِبَ النحو جمعت الغث والسمين والخطأ والصواب، فليس كلّ كتاب ألف في هذا المجال يُقرأ.
- ✓ ثالثاً: ابدأ بمطالعة كتب النحو البسيطة والمختصرة، خاصة حفظ المتن منها.
- ✓ رابعاً: لا تفتح أكثر من كتاب في النحو حتى تكمله مادمت في مرحلة الطلب، واقتصر على ما في الكتاب الأول من شرح وما بقي من زيادة تؤخّر إلى الكتاب الثاني.
- ✓ خامساً: لا تلتفت لما يفعله البعض من تشويش أذهان المتعلّمين بالتوسّع في الشرح بذكر التعاريف الصعبة والإعرابات الغريبة، والخلافات الشديدة، والحواشي الكثيرة.
- ✓ سادساً: احرص على قراءة مُقدّمة الكتاب، واعتن بها، فإنّها تفيدك كثيراً لا سيّما إذا كانت من وضع المؤلّف نفسه فغالبا ما تشتمل على التعريف بالكتاب ومنهجيته وطريقة عرضه وما إلى ذلك من فوائد.

† - اللحن: هو الخروج عن أوضاع العرب في كالمهم، أي الخرق في القاعدة النحوية، نحو نصب الفاعل، أو رفع المفعول.

✓ سابعاً: عليك تدوين التعاريف والملح واللطائف والبدائع التي تمرّ بها حتى تترسّخ في الذهن.

وعليه يمكن طرح الإشكالية الآتية: كيف يتدرج الطالب في قراءته كتب النحو العلمي عند القدامى والنحو التعليمي عن المحدثين؟

وسنعرض لك الآن أهم الكتب التي ينبغي لكلّ مقبل على هذا العلم أن يبدأ بها ويسير على نهجها، سالكين في ذلك مبدأ الترتيب "التدرّج" الذي هو أصل من أصول العلم، والذي نادت به التعليميّة "الديداكتيك" في زماننا، يقول ابن خلدون: "اعلم أنّ تلقين العلوم للمتعلّمين إنّما يكون مفيداً، إذا كان على التدرّج شيئاً فشيئاً وقليلًا قليلًا، يُلقَى عليه أوّلاً مسائل من كلّ باب هي أصول ذلك الباب، ويُقرَّب له في شرحها على سبيل الإجمال، ويُراعى في ذلك قوّة عقله واستعداده لقبول ما يورد عليه حتّى ينتهي إلى آخر الفنّ" (بن خلدون، 2006، صفحة 627)، وإليك الآن هذه الكتب مرتبة:

- **متن الأجروميّة:** للإمام الحبر أبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنّهاجي، الأديب النحوي المقرئ، وهو كما وصفه بعضُ شراح مقدّمته بالإمامة في النحو، كان موطنه بمدينة فاس بالمغرب، وُلِدَ عام (672هـ) في السنّة التي تُوفّي فيها ابن مالك صاحب الألفيّة، وتوفّي -رحمه الله- عام (672هـ) أي عاش حوالي 51 سنة، وله تأليفٌ ومُصنّفات كثيرة، ومنها هذه المقدّمة المسماة الأجروميّة نسبةً إلى اسمه والتي كانت سببَ شهرته، فكانت لها قيمةٌ رفيعة، ومكانةٌ ساميةٌ لدى العلماء والمُهتمّين بالعربيّة، ومما يدلّ على ذلك كثرةُ شراحها، فقد اهتمّ بها العلماء قديماً وحديثاً، ما بين باسطٍ ومختصرٍ، وشارحٍ وناظمٍ، وما بين مُعربٍ لألفاظها ومتمّمٍ لها، فقد نظّمها العمريطي في أبياتٍ طويلةٍ يقولُ في مقدّمة هذه الأبيات: (المهذري، 2013، صفحة 10)

والنحو أولى أوّلاً أن يُعلّمَا	إذ الكلام دونَه لن يفهمَا
وكان خيرَ كُتُبِه الصّغيرة	كراسةً لطيفةً شهيرة
في عُربها وعجمها والرّمي	ألّفها الحبر ابن أجروم
وانتفعت أجلّة بعلمها	مع ما تراه من لطيف حجمها

وشراح الأجروميّة كثر مثل: الكفراوي، والمكودي، والراعي التّميري، وابن العثيمين، وغيرهم، ولعلّ أحسن شرح لها، وهو مفيد لطالب النحو المبتدئ ولا يستغني عنه المنتهي "التّحفة السّنية بشرح المقدّمة الأجروميّة" لمحمد محي الدّين عبد الحميد وهو محقّق مصري، وله قدم راسخة في علم النحو، فقد وضع تعليقات رائعة على المتن، وشرحه شرحاً وافياً، مُراعياً في ذلك التّبسيط غير المخلّ رفقا بالمبتدئ، وذكر فوائد تُشدّ لها الرّحال، فمن رام تعلم النحو من المبتدئين فعليه بمتن الأجروميّة حفظاً

ودرايةً ، مع التحفة السنّية شرحاً وفهمًا، وعلى طالب النّحو ألاّ يفتح أكثر من شرح في متن الأجروميّة مادام في مرحلة الطّلب، فإنّ شرّاح الأجروميّة يختلفون في الشروحات، فمنهم من شرحها للمبتدئ كحال صاحب التّحفة السنّية، ومنهم من شرحها شرحاً معمّقا لا يليق بالمبتدئ كشرح ابن العثيمين، كما ينبغي للطالب ألاّ يخلط في البداية بين نثر ونظم للمتن الواحد، بل يكتفي بالنثر في البداية.

- **قَطْرُ النَّدَى وَبِلَ الصَّدَى** : للإمام العلامة أبي محمد عبد الله جمال الدّين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصريّ، وُلد رحمه الله في القاهرة عام 708 هـ أي سنة 1309م، وقد لزم الشّهاب عبد اللّطيف بن المرحل ، وتلا على ابن السّراج ، وكان لابن هشام ملكة فائقة تمكّن من خلالها بالتّعبير عن مقصوده بما يريد مسهباً وموجزاً، حتّى قال عنه ابن خلدون: "مازلنا ونحن بالمغرب نسمع أنّه ظهر بمصر عالمٌ بالعربيّة يُقال له ابن هشام أنحى من سيبويه" وسمع على أبي حيّان ديوان زهير بن أبي سلمي، ولم يلازمه، ولا قرأ عليه، وحضر دروس الشّيخ تاج الدين التّبريزي، ومن جميل شعره : (العسقلاني، 1975، صفحة 95)

ومن يصطبرُ على العلم يظفرُ بنيّله ومن يخطبِ الحسنة يصبرُ على
ومن لم يذلّ النّفْسَ في طلب العلا يسيراً يعيشُ دهرًا طويلاً أخا ذلّ

ولابن هشام مؤلّفاتٌ كثيرة كلّها نافع مفيد تلوح منه أماراتُ التّحقيق وطول الباع، فأتى في النّحو بشيء عجيب دالّ قوّة ملكته وإطلاعه ، ومقدّمة قطر النّدى مقدّمة عظيمة ومباركة، تأتي في الدرجة الثانية بعد الأجرومية، وقد شرحها المصنّف نفسه فهو يقول في مقدّمة شرح قطر النّدى: "... وبعدُ فهذه نكت حرّرتها على مقدّمتي المسماة "قطر النّدى وبِل الصّدَى" رافعة لحجابها، كاشفة لنقابها، مكّلة لشواهدا، متّمة لفوائدها، كافية لمن اقتصر عليها، وافية ببغية من جنح إليها من طلاب العلم العربيّة إليها" (الأنصاري، 1994، صفحة 10) وقد شهد لابن هشام بعُلوّ كعبه في هذا العلم كثير من العلماء قديما وحديثا، فهو كتاب عظيم الفائدة مهذب المباني، مشيّد المعاني، محكم الأحكام، مستوفي الأنواع والأقسام، مرتب الأبواب، فما لم يتطرّق إليه في الأجرومية يأتي في القطر مفصّلاً فرحم الله المصنّف ونفع به وبكتبه.

- **ألفيّة ابن مالك**: للإمام الحبر العلامة النّحوي اللّغوي جمال الدّين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك، تروي الكتبُ أنّه ولد بجيّا في الأندلس تقريبا في سنة 600هـ، وقد أخذ النّحو عن أبي المظفر، وسمع من السخاوي، ولازم في حلب حلقة ابن يعيش النّحوي، و" كان إماماً في القراءات وعلّما، وأمّا اللّغة فكان إليه المنتهى في الإكثار من نقل غريبها، والإطلاع على وحشيّها، وأمّا النّحو والتّصريف

فكان فيهما بحراً لا يبارى، وحبراً لا يُجارى، وأما أشعار العرب التي يستشهد بها على اللغة والنحو فكان الأئمة الأعلام يتحيرون فيه، ويتعجبون من أين يأتي بها، وكان نظم الشعر سهلاً عليه، رجزه وطويله وبسيطه وغير ذلك، هذا مع ما هو عليه من الدين المتين وصدق اللهجة وكثرة النوافل..." (السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، صفحة 130) ولابن مالك مؤلفات كثيرة، وكلها نافعة مفيدة، ولعل أشهرها هذه الألفية التي سماها الخلاصة، والألفية بفتح الهمز لا بضمه كما هو شائع نسبة إلى عدد أبياتها وقد جاءت منظّمة نظماً بديعاً حتى إنها تُعدّ أشهر ألفية، فقربت البعيد من النحو بأبسط لفظ موجز، فكانت مقاصد النحو بها محويةً يقول ابن مالك في مطلع ألفيته :

وأستعينُ الله في ألفيه	مقاصد النحو بها محويّه
تُقرّب الأقصى بلفظٍ موجزٍ	وتبسط البذل بوعدٍ منجزٍ
وتقتضي رضًى بغير سخطٍ	فائقة ألفية ابن معطي
وهو بسبق حائز تقضيلاً	مستوجب ثنائي الجميلاً

فقد سبق ابن مالك في نظم ألفية في النحو ابن معطي الجزائري الزواوي، لكن ألفية ابن مالك نالت من الشهرة ما لم تنله أي ألفية أخرى، فقد شرحها علماء كثيرون قديماً وحديثاً، وترجمت إلى لغات أخرى، ومن أحسن وأفضل شروحاتها "شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك" وقد لاقى شرحه اهتماماً بالغاً لدى العلماء، فقد توسّط -رحمه الله- في الشرح بين الإيجاز المخلّ والإطناب المملّ، وعرض المسائل النحوية بطريقة تعليمية مائعة، فقد قال عنه أستاذه أبو حيان: "ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل"، وجدير بالتنبيه أن ابن مالك له طريقة خاصة في عرض المسائل النحوية فهو ليس كابن أجروم الذي سلك طريقة الكوفيين في نحوه فمثلاً يعتبر فعل الأمر مجزوماً خلافاً للبصريين الذين يبنونه كما يبنون الماضي، وهو ليس كابن هشام الذي يسلك طريقة البصريين في تأصيله لقاعدة إتباعاً للتأويلات البعيدة كتأصيله مثلاً في مسألة فعلية "عسى" و "ليس" بدليل دخول تاء التانيث عليهما خلافاً لكوفيين الذين يعتبرونهما حرفين، فابن مالك سلك بين الطريقتين، يقول السيوطي: "لابن مالك طريقة في النحو سلكها بين طريقتي البصريين والكوفيين، فإنّ مذهب الكوفيين: القياس على الشاذ، ومذهب البصريين: إتباع التأويلات البعيدة التي خالفها الظاهر، وابن مالك يحكم بوقوع ذلك من غير حكم عليه بقياس، ولا تأويل، بل يقول: إنه شاذ أو ضرورة، كقوله في التمييز:

والفعل ذو التصريف نذراً سبقاً*

وقوله في مدّ المقصور :

والعكس في شعر يقع *

قال ابن هشام: وهذه طريقة المُحقّقين، وهي أفضل الطريقتين " (السيوطي، الإقتراح في أصول النحو، 2006، صفحة 161).

فهذا دليل على علوّ كعبه في علم النّحو، ونُنبّه أن ألفيّة ابن مالك جمعت النحو والصّرف فقد وضع في آخر ألفيته "لامية الأفعال" في الصرف، والذي يهمنّا باب النحو لا الصرف، كما نشير أن أبيات الألفية كلّها منظومة على بحر الرّجز، وتمتاز عباراتها بالرقّة والدقّة، والإيجاز في صياغة الأحكام، ولذلك يسهل حفظها، فغاية ابن مالك غاية تعليمية، ويظهر أن حرص على هذا، فعلى طالب النحو أن يهتمّ بها حفظاً، ويشرح ابن عقيل فهماً وتدبراً، كما لا يشيّد الذّهن بكثرة شروحيها فالإقتصار على شرح ابن عقيل أجدى نفعاً وأعمّ فائدة .

- **مُغني اللبيب عن كتب الأعراب:** لابن هشام الأنصاري أيضاً (ت: 761هـ)، صاحب القطر الذي أعى من جاء بعده، وفاق أقرانه، وكتابه "مغني اللبيب" يُعدّ مصدراً من أمّات الكتب ولذا ذكرناه متأخراً بعد الألفية فقد أتى فيه ابن هشام بشيء عجيب، وكتاب "مغني اللبيب" دقيق من حيث منهج التّأليف، وحظي باهتمام الدارسين، تجسدت في الأعمال ما بين الشرح وحاشية ونظم وغير ذلك، يقول ابن خلدون: "...إنّ أولى ما نقترحه القرائح، وأعلى ما تجنح إلى تحصيله الجوانح، ما يتيسّر به فهم كتاب الله المُنزّل، ويتضح به معنى حدي نبيّه المرسل، فإنّهما الوسيلة إلى السعادة الأبدية، والذريعة إلى تحصيل المصالح الدنيّة والدنيوية، وأصل ذلك علم الإعراب، الهادي إلى صوب الصّواب" (الدسوقي، 2009، صفحة 06)، ومن جيد شروح المغني، وفي الحقيقة من جيّد الحواشي (4)† "حاشية الدسوقي" لمصطفى عرفة الدسوقي وهو من أكابر علماء العربيّة، من أهل دسوق (بمصر)، تعلّم وأقام وتوفي بالقاهرة كما أشار إلى ذلك الزركلي في أعلامه، وقد جعل الدسوقي كتابه في مجلدين، وشرحه شرحاً وافياً، وخدمه خدمة تامّة، وضبط متنه وخرّج آيه وأبياته، وفتح مقله، فجاء الكتاب مثمراً يانعاً.

- **شذور الذهب في معرفة كلام العرب:** لابن هشام الأنصاري أيضاً، أكثر ما حظي بالشهرة والذّيع من كتب ابن هشام ما كان ذا صبغة تعليمية مدرسية، فقد كثر الانتفاع منها وأقبل المقرّئون على إقرائها طلابهم لما لمسوا من سرعة فائدتها وهي رسالة صغيرة في النّحو، ثمّ شرحها -رحمه الله- كعادته وسمّى مختصره بـ "شذور الذهب في معرفة كلام العرب" ويشبه هذا الكتاب مؤلّفه السابق "قطر اللّدى" إلّا أنّه أعلى منه قيمةً فقد أضاف إليه شواهد كثيرة من كلام العرب وأعرابها، ولهذا جاءت تسمية الكتاب بهذه التّسمية، شذور الذهب متن صغير للمبتدئين بالنحو لم يجاوز في

† - الفرق بين الحاشية والشرح: أن الحاشية تكون على بعض الكتاب، والشرح يكون على كل كتاب.

طبعته "24" صفحة من القطع الصغير، عبارته موجزة مكثفة تصلح لأن تستظهر، وهو كتاب جم الفوائد، أتى فيه ابن هشام على كل شاردة وواردة، وكان دائما قصده، تسهيل النحو على طالبه، وتقريبه إلى أولي الألباب. وقد أوضح ابن هشام في مقدمته منهجه الذي يسير عليه في كتابه، وهو منهج جديد في الدراسات النحوية، فقد اهتم ابن هشام بتضييق دائرة أقسام النحو حتى لا يضل الناشئة في شعابها المختلفة. ودعم ابن هشام مسائل النحو بالآيات القرآنية التي لم يكتف بإيرادها بل حاول أن يبين ما في هذه الآيات من وجوه الإعراب والتفسير.

الكتاب: لسيبويه، وهو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ويُقال كنيته أبو الحسن، كان مولى آل الربيع بن زياد الحارثي، وسيبويه لقب له ومعناه بالفارسية "رائحة التفاح" وكان من أهل فارس من البيضاء، ومنشؤه بالبصرة، وكان يطلب الآثار والفقه، قال نصر بن علي: كان سيبويه يستملي على حمادة بن سلمة، فقال حماد يوما، قال صلى الله عليه وسلم: "ليس أحد من أصحابي إلا وقد أخذت عليه ليس أبا الدرداء" فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء، فقال له حماد: لحننت، فقال سيبويه: لا جرم لأطلبن علماً لا تلحنني فيه أبداً، وطلب النحو، وأخذ عن الخليل بن أحمد، وعن يونس بن حبيب، وعيسى بن عمر وغيرهم، وبرع في النحو وصنّف كتابه الذي لم يسبقه أحد إلى مثله، ولا لحقه أحد من بعده، وقال أبو العباس المبرّد: ذُكر سيبويه عند يونس بن حبيب البصري فقال: أظن هذا الغلام يكذب على الخليل، فقيل له: وقد روى عنك أشياء كثيرةً فانظر فيها، فنظر فيها وقال: صدق في جميع ما قال، هو قولي، وقال ابن سلام: كان سيبويه النحوي غايةً في الخلق، وكتابه في النحو هو الإمام فيه، وكان يُقال بالبصرة: قرأ فلان الكتاب، فيُعلم أنه كتاب سيبويه، وكان أبو العباس المبرّد إذا أراد مريدً أن يقرأ عليه كتاب سيبويه، يقول له: ركبت البحر، تعظيماً لكتاب سيبويه واستصعاباً لما فيه، وكان أبو عثمان المازني يقول: من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح، وقال ابن عائشة: كنا نجلس مع سيبويه النحو في المسجد، وكان شاباً نظيفاً قد تعلّق من كلّ علم بسبب، وضرب من كلّ أدب بسهم، وورد سيبويه إلى بغداد وناصر الكسائي وأصحابه، ولم يظهر عليه، فما انتهى إلى سارة مرض مرضه الذي مات فيه فتمثّل عند الموت:

نومّل دنيا لتبقى لنا فمات المؤمّل قبل الأمل
حشيّا يروي أصول النّخيل فعاش الفسيل ومات الرجل

وقد مات سيبويه بالبصرة سنة (161هـ)، وقيل (188هـ) وقيل 194 هـ، والأول أشبه، ويُقال مات وقد نيّف الأربعين سنة (الأنباري، الصفحات 54-55) فرحمه الله رحمة

واسعة، فقد كان - بلا منازع- عبقرى النحو العربي، شهد له بذلك كل معاصريه ومن جاء بعدهم ، وقد كنا نسمع الباحث اللساني البروفيسور عبد الرحمن الحاج صالح - رحمه الله- يُعظم سيبويه وكتابه أيما تعظيم، بل دائماً يذكره في كتبه والعجيب في الأمر أن كتابه جاء كاملاً غير منقوص رغم أنه سابق لجميع المؤلفات في هذا العلم، فما من كتاب ذكرناه في النحو أو لم نذكره إلا وقد عاد لكتابه، أو له سبق فضل عليه، ومن ميزات الكتاب أن سيبويه لم يعتمد في كتابه على مجرد الأخذ عن أهل هذا الفن فحسب، بل اعتمد على أصل عظيم وهو " السماع" أي شافه العرب وأخذ عنهم مباشرة، مما يجعلنا نحكم على صحة ما في الكتاب، هذا وجدير بالتنبيه أن كتاب سيبويه تضمّن شروحات عديدة ، ومن أحسن شروحه وأجودها "شرح السيرافي" أبي سعيد الحسن بن أبي عبد الله بن مرزبان المتوفى سنة 368 هـ، فقد شرح الكتاب شرحاً وافياً، فبين مبهمه، وفتح مقفله، ورتّب أبوابه، وأزال غموضه، وقد أعى السيرافي من جاء بعده من الشراح، فبرزت شهرته بشرح أعظم كتاب في النحو فأثبت أنه ذو أحكام نقدية عادلة، وقدم راسخة في النحو، فجاء شرحه للكتاب عصارة فكره، وغاية جهده، فنفع الله بالمؤلف وبالشارح، ورحمهما رحمة واسعة.

وحقيق بالتنبيه أن هذا الترتيب في هذه الكتب يراعي مبدأً عظيماً في التعلم، وهو "التكرار"، فالعلماء إنما وضعوا ترتيباً لكل فن من الفنون، تقادياً للتكرار، فما ذكر في الكتاب الأول، يذكر في الكتاب الثاني بطريقة أخص، أو أعمق، مراعاة لمستوي المتعلمين، ولهذا كان الترتيب بهذا الشكل، وسنمّثل لذلك فيما ذكرنا بأول دروس النحو في هذه الكتب وهو "الكلام وأقسامه" ثم نستنتج الفروق والاختلافات ، فالكلام عند ابن أجروم: (اللفظ المركب المفيد بالوضع، وأقسامه ثلاثة: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى (الصنهاجي، 2009، صفحة 05) فهو لم يزد أن عرّف الكلام بمعناه النحوي، وهو ما استوفى الشروط الأربعة، وهي: اللفظ، وهو الصوت المشتمل على بعض الحروف، والمركب، وهو ما تألف من كلمتين أو أكثر مثل: العلم نافع، والمفيد، وهو الذي يحسن السكوت عليه وبالوضع، ويعني به الوضع العربي، أي أن تكون الألفاظ المستعملة في الكلام بلسان عربي، وليس بلسان فرنسي أو انجليزي أو غيره، ثم يشرع في ذكر أقسامه، وهي الاسم: وهو عبارة عن كلمة دلّت على معنى في نفسها ولم تقترن بزمان، مثل: زيد، فرس والفعل: وهو عبارة عن كلمة دلّت على معنى في نفسها واقتترنت بزمان ماضٍ، أو حاضر، أو مستقبل، مثل: كتب، يكتب، أكتب وحرف جاء لمعنى: وهو عبارة عن كلمة دلّت على معنى في غيرها، مثل: من، في، وغيرها ولا يتم معنى الحرف حتى نضمّ إليه كلمة أخرى، ولقد أحسن ابن أجروم حين قيّد الحرف بهذا القيد (جاء لمعنى) ليُعلم أن المقصود بالحرف، حرف المعنى لا حرف المبنى ثم يشرع ابن أجروم في التفصيل فيذكر علامة كل من أقسام الكلام، أمّا ابن هشام: فيذكر في أول دروسه في قطر الندى "الكلمة وأقسامها" فكأنه-رحمه الله- أراد أن ينبّهنا أن ما ذكرناه

من أقسام الكلام (اسم وفعل وحرف) هي أيضا أقسام للكلمة وهذه أول فائدة في كتابه، فيقول: (الكلمة قول مفرد، وهي اسم، وفعل، وحرف) (الأنصاري، 1994، صفحة 05) فقد اعتمد على الإيجاز المفيد، فقوله الكلمة قول، فالقول عنده: هو اللفظ الدال على معنى، فلو لاحظنا الكلام عند ابن أجروم فقد بدأه بالفظ المركب...والفرق بين اللفظ والقول، هو أن اللفظ شامل لما يدل على معنى أو لا يدل، أي يشمل المهمل والمستعمل، بخلاف القول فهو دال على معنى، أي يشمل المستعمل دون المهمل، فكأن ابن أجروم عمّ وابن هشام خصّص، وقوله مفرد: أي ما لا يدل جزؤه على جزء معناه، مثل: "زيد" فإن أجزائه وهي "الزاي" و"الياء" و"الدال" إذا أفردت لا تدل على ما يدل عليه زيد، ثم يواصل ابن هشام علامات كل من أقسام الكلمة (الاسم والفعل والحرف) ويضيف بعض العلامات التي لم يذكرها ابن أجروم، مثل: الحديث عن الاسم، كالإخبار عنه بقاء الرفع المتحركة، وهي أنفع علامات الاسم، أما ابن مالك: فقد ذكر الكلام في مطلع ألفيته مقرونا بالكلم، فأضاف مصطلح "الكلم" يقول:

كلامنا لفظ مفيد كـ"استقم" واسم وفعل ثم حرف الكلم
واحده كلمة والقول عمّ وكلمة بها كلام قد يؤم
فلاحظ أن ابن مالك ذكر الكلام وأضاف إليه نون المتكلمين بقوله "كلامنا"، ليُعلم أن المقصود بالتعريف هو الكلام في اصطلاح النحاة (لأن ابن مالك نحوي) لا في اصطلاح اللغويين فالكلام عنده "لفظ مفيد" فاللفظ: هو الصوت المشتمل على بعض الحروف، لكنه يشمل المهمل والمستعمل، ولكن المفيد يشمل المستعمل فقط، ثم دّل بقوله كـ"استقم" أي المفيد فائدة يحسن السكوت عليها كفائدة استقم، فانظر كيف اختصر الكلام اختصارا مفيدا، ثم ذكر أقسام الكلام الثلاثة وأضاف الكلم، وهو اسم جنس، ما تركب من ثلاث كلمات فأكثر، وقد يكون مفيدا، مثل: قام زيد، وقد لا يكون مفيدا ويبقى السامع منتظراً، مثل جملة الشرط دون جوابها مثل: إن قام زيد...، وذكر أيضا الكلمة بأنها مفرد الكلم بقوله: واحده كلمة والقول عمّ، فالكلمة هي: اللفظ الموضوع لمعنى مثل: شجرة، قلم، ثم ذكر القول الذي يعم الجميع من كلام، وكلم، وكلمة ثم ذكر فائدة أخرى، أن الكلمة قد يُقصد بها الكلام، بقوله: "وكلمة بها كلام قد يؤم" كقولنا: "لا إله إلا الله" كلمة التوحيد وقولنا "الصيف ضيعت اللبن" مثل عربي، فتطلق الكلمة في اللغة على الجمل المفيدة، كقوله تعالى: (...كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا...) [المؤمنون:100] إشارة إلى قوله: (...رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ) [المؤمنون:99]، فاختصر ابن مالك كل هذا في البيتين السابقين، ثم واصل ذكر علامات كل من أقسام الكلام (الاسم والفعل والحرف) ويضيف بعض العلامات التي لم يذكرها الكتابان السابقان كإضافته النداء علامة للاسم وكذا الإسناد، بقوله:

بالجر والتنوين والنداء وألّ ومسند للاسم تمييز حصل

أما سيبويه فمنهجه في عرض النحو يختلف عن هؤلاء كثيرًا، فاستهلّ مطلع كتابه بالحديث عن "الكلم" بقوله: (هذا باب علم ما الكلم من العربية) فبدأ بالكلم لأنه أشمل للكلام وغيره، وهو شامل للعربية وغيرها من اللغات، ثم قيده بالعربية، وكان قصده، ثم ذكر أقسامه فبدأ بالاسم، ولكنه لم يحده بتعريف الاسم المشهور من كونه كلمة دلت على معنى ولم تقترن بزمن بل يقول: "الاسم رجل و فرس" فهذا أبلغ تعريف لمن تدبر في النحو، يقول السيرافي: إنّما اختار هذا لأنه أخفّ الأسماء الثلاثية وأخفها ما كان نكرة للجنس، وهو نحو رجل و فرس" (السيرافي، 2008، صفحة 14)، ثم يذكر الفعل بقوله: "وأما الفعل فأمثله"، وقصده بالأمثلة (الأبنية) فمنها الفعل الثلاثي المجرد على وزن فعل، مثل: كَتَبَ، ومنها على وزن فعل، مثل: كَبُرَ، ومنها على وزن فعل، مثل: حَسِبَ، والمقصود بأنها أخذت من لفظ أحدث الأسماء، أنها أُشْتُقَّتْ من المصادر، أي أن أصل المشتقات هو الاسم (المصدر) وليس الفعل، وهذه مسألة خلافية بين نحاة البصرة والكوفة، تُشير إليها باختصار، فإن البصريين قالوا: إن أصل المشتقات هو الاسم وحججهم في ذلك كثيرة، نذكر منها: أن المصدر يدلّ على زمان مطلق، والفعل يدلّ على زمان معيّن، فكما أن المطلق أصل للمقيّد فكذلك المصدر أصل للفعل، وأما الكوفيون فقالوا: أنّ أصل المشتقات هو الفعل ولهم حجج في ذلك، نذكر منها: أن المصدر يصح لصحة الفعل، ويعتّل لاعتلاله، ألا ترى أنك تقول: قاوم قوامًا، فيصح المصدر لصحة الفعل، وتقول: قام قيامًا، فيعتّل لاعتلاله (الحباس) والأرجح ما ذكره سيبويه من كون المصدر (الاسم) أصل للمشتقات، وذكر سيبويه الحرف قائلاً: "(وأما ما جاء لمعنى ليس باسم ولا بفعل) فحدّ الحرف بأنه ما جاء لمعنى، وأصل الحروف أنها تأتي لمعان كثيرة ليس هذا أوان بسطها كحروف العطف، وحروف الجر، وحروف الاستفهام، وغيرها.

هذا وينبغي أن نشير أنّ علم النحو يحتاج إلى علم الصّرف، فهما علما يكادان يكونان متلازمين، فكثير من دروس النحو لا تفهم إلا على ضوء علم التصريف، كاسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وغيرها، فيحتاج طالب النحو إلى معرفة بنية الكلمة ووزنها، ليُعملها فيما بعدها، فعلم الصرف: "هو علم بأصول يُعرف بها أحوال أبنية الكلمة، التي ليست بإعراب ولا بناء" (الحملوي، 2012، صفحة 23)، ولهذا لا بد من دراسة ما يحتاجه الطالب من علم الصّرف، ومختصر الكلام أن الكلام كلّ لا يحسن لك نظمه، وتعلّق بعضه ببعض إلّا بمعاني النحو وأحكامه، لذا يذكر الجرجاني رحمه الله- عن النّظم، أنه ليس سوى حكم إعراب أي (النحو) تسوقه وتقدّمه، فنجدّه يقول : (الجرجاني، 1997، صفحة 18)

معنى سوى حكم إعراب تزجيّه
يتّم من دونه قصدٌ لمُنشيه

فما لنظم كلام أنت ناظمه
اسم يرى، وهو أصلٌ للكلام فما

ما أنت تُثَبِّتَه أو أنت تنفيه
تلقى له خبراً من بعدُ تنفيه
إليه يُكسبه وصفاً ويُعطيه
من منطق لم يكونا من مبانيه
سلَّطت فعلا عليه في تعديهِ
ما يشبه البحر فيضا من نواحيهِ
حكم من النَّحو نمضي في توحيهِ

وآخر هو يُعطيك الزيادة في
تفسير ذلك أن الأصل مبتدأ
وفاعل مسند فعل تقدّمه
هذان أصلان لا تأتيك فائدة
وما يزيدك من بعد التمام فما
هذي قوانين يُلفى من تتبّعها
وقد علمنا بأن النظم ليس سوى

فالجرجاني يرى أن النَّحو هو الطريق إلى البيان، والكشف عن الحجة والبرهان، وليست هذه الكتب التي ذكرناها على سبيل الحصر، بل استنادا إلى الترتيب والتدرج في النَّحو، وإلا فهناك معالم أخرى يرجع إليها الطالب حسب النبوغ والتقدم، ولكن بعد التدرج على هذه الكتب، فبعد ذلك يمكن لطالب النَّحو أن ينظر في غيرها من الكتب، وخاصة التي الكتب التي ذكرت الاختلافات النحوية، ورجحت الصواب، بعد أن كانت بعيدة عليه، مثل كتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف" لابن الأنباري وغيرها من الكتب التي عُدَّت مصادر كبيرة، مثل "المفصل" للزمخشري، و"شرح المفصل" لابن يعيش النحوي، والكتب التي ذكرت أصول النحوي، مثل "الاقتراح في أصول النَّحو" للسيوطي، وغيرها، فهكذا تقوى الملكة، ويفحل الطبع، وتزكو الثمرة وينمو الفهم، وعلى الطالب أن يصبر في قراءة هذه الكتب العامرة، فإنَّ النَّحو في أوله يبدو صعباً، لكن سرعان ما تزول صعوبته بعد الولوج فيه، وقد شُيِّه ببيت من قصب، وبابه من حديد، يعني إذا فتحت بابه سهّل عليك الأمر، ومن أسباب تحصيله أيضاً "المداومة"، فإنَّ الدوام أصل عظيم، ومن أسباب المداومة تقليل الحصص، فلا ينبغي قراءة النَّحو وشرحه أو حضور حصصه بشكل يومي، فهذا يؤدي إلى الملل، وهجران القراءة، وإنما يأتي هذا من سوء التعليم، وعدم الترتيب، وعلى الطالب أيضاً أن يكرّر مقروءه، "فالتكرار عامل من عوامل التعلم"، فلا بدّ من الارتكاز على التكرار الذي يُعتبر من الدعائم الصلدة التي تقوم عليها العملية التعليمية، ومن الأسباب التي تعين على التكرار "الميل والرغبة للتعلم"، فإنَّ من أحبّ علماً نبغ فيه وبرع، فمن أسباب تحصيل النَّحو حبّه، لذا يقول الأصفهاني:

يُدرِك المرء به أعلى الشرف
كشهاب ثاقب بين السدوف
تخرج الدرة من جوف الصدف

أحبب النَّحو من العلم فقد
إنما النحوي في مجلسه
يخرج القرآن من فيه كما

هذا وعلى طالب النّحو أن ينظر في المدوّنات التي تعين على تعلّم النحو، مثل القرآن الكريم ، والحديث النبوي، وكذا الشّعْر الفصيح، كشعر المعلّقات السّبع، وغيرها، وعليه أيضاً أن يصبرَ على التّحصيل، فلا ينال العلم عموماً، والنّحو خصوصاً إلاّ بطول الزّمان، وما أحسن قول الشّافعي:

أخي لن تنال العلم إلا بسنة سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة وصحبة أستاذ وطول زمان

هذه أبرز كتب النّحو التي يبدأ بها طالب النّحو، ويتدرّج شيئاً فشيئاً فيها، وقد نصح بها العلماء ومن جادت قرائهم في هذا العلم، وهناك مختصرات أخرى وكتب أخرى استوعبت بعض أبواب هذا العلم أو كلّه، إلاّ أنّ وجه الحصر فيها خفي، ووجه الحصر في هذه جلي، وإنما راعينا مبدأ التدرّج والترتيب تسهيلاً على من يروم تعلّم النّحو، وأحسن ما نختم به أبيات للكسائي التّحوي ترغيباً لطال النّحو، يقول الكسائي :

أيّها الطّالب علماً نافعا أطلب النّحو ودع عنك الطّمغ
إنما النحو قياس يُتّبِع وبه في كلّ أمر يُنتفِع
فإذا ما نصر النّحو الفتى مرّ في المنطق مرّاً فاتّسع
فاتّقاه جلّ من جالسه من جليس ناطق أو مستمع
وإذا لم ينصر النحو الفتى هاب أن ينطق جنباً فانقطع
فتراه يرفع النصب وما كان من خفض أو نصب رفع
يقرأ القرآن لا يعرف ما صرّف الإعراب فيه وصنع
والذي يعرفه يقرّؤه فإذا ما شكّ في حرف رجّع
ناضراً فيه وفي إعرابه فإذا ما عرف اللّحن صدغ
كم وضع رفع النّحو وكم من شريف قد رأيناه وضع

4. خاتمة:

لقد اهتمّ علماؤنا قديماً وحديثاً بعلوم العربيّة عموماً، وبعلم النّحو خصوصاً اهتماماً ليس له نظيرٌ، حتى قيل: إنه لم تلق لغة كما لقيت اللغة العربيّة، من الحفظ، والعناية، والاهتمام، وإنّ المُتنبّع لتعليم العربيّة يدرك لا محالة أن الاهتمام الذي ينبغي أن يعطى لتعلم العربيّة عموماً، والنحو خصوصاً، هو الاهتمام بمبدأ "التدرّج" في القراءة والتلقّي، والترتيب، والنّحو رياضةٌ ذهنيّةٌ ممتعةٌ وهو - كما قيل- فأسُ العلوم،

فهو ضروريٌّ لمن يزاوِل الكتابة والخطابة، ويُحتاجُ إلى النَّحو في كلِّ فنٍّ من فنون العلم ولاسيَّما التفسير والحديث ومن وصفوة القول في الختام أن علم النَّحو من أخصِّ خصائص العربية، ومن علومها الجليَّة التي خَصَّتْ بها العرب، وعلى طالب النَّحو أن يوفِّيَ حَظَّهُ من قراءة هذه الكتب، وإمعان النظر فيها، وينبغي لطالب هذا العلم أن يستشرف - بما عنده من جهد وهمّة - لمطالعة كتب النَّحو والإقبال عليها، والنَّهم من ذخائرها، والوقوف على فوائدها وجَمْع ما تيسر من المُلح واللَّطائف التي جادت بها قرائح علماء هذا الفنِّ "النحاة"، وإن كان هذا غير كافٍ، لأنَّ علم النَّحو من علوم الآلة التي تتطلَّب معلِّماً.

- يجبُ أن ينتبه لجملة من المحاذير قبل أن يلجَّ هذا النوع من العلوم، حتى يأمن الزَّلَل، ويتجنَّب الملل ويحصل المعرفة، ويواصل السير، فينبغي التدرُّج في مطالعة الكتب، والبداءة بالمختصرات التي هي طريق المطوَّلات، فالذي يهجم على العلم هجوماً من أعلاه، لا يحصل على شيء، وسرعان ما يتعب ويملّ ولا يواصل.

- من أهم الكتب التي ينبغي لكلِّ مقبل على هذا العلم أن يبدأ بها ويسير على نهجها، سالكين في ذلك مبدأ الترتيب "التدرُّج" الذي هو أصل من أصول العلم، والذي نادت به التعليميَّة "الديداكتيك" في زماننا؛ ومن مظاهر هذا النشاط أن توخى أغلب المؤلفين في مؤلفاتهم التدرُّج والتنويع فيها، لاختلاف قدر الطالبين من مبتدئ وشاد ومنته، فجمعوا فيها بين وجيز ووسيط وبسيط، حبا في تعميم النفع، وحسبنا أن نلقي نظرة على قائمة العناوين التي أسهمت في مجال النحو لنعرف حجم المجهودات التي بذلها العلماء لنشر العربية وتيسير تعليمها. نذكر من هذه المؤلفات العناوين واخترنا هذه المؤلفات لشهرتها أولاً، ولكثرة الشروح التي نشأت حولها: متن الأجرومي في مبادئ علم العربية لابن أجروم المغربي (ت723هـ)، المتن عبارة رسالة مختصرة جداً ألفها ابن أجروم، وهي لا تكاد تربو عن عشرين صفحة، اشتملت على أربعة وعشرين باباً، توا على شرحها الكثير من العلماء، لقد تميزت بالدقة في الضبط والتفعيد، وحسن التصنيف والتقسيم، فهي مفيدة جداً للمعلم والمتعلم. وقطُر الندى وبلّ الصدى، لابن هشام الأنصاري المصري.

- وألفيَّة ابن مالك لجمال الدين بن مالك، فهي عبارة عن خلاصة انتقاها الناظم من موسوعته الكافية الشافية، التي نظمها في ألفين وسبع مائة وخمسين بيتاً اشتملت الألفية على ألف وخمسة أبيات، ولقد أُقيل عليها العلماء وطلبة العلم بالمدارس والتدريس، وشرحها والتعليق عليها منها نذكر شرح بدر الدين محمد ابن مالك المشهور بابن الناظم، ثم توالى الشروح بعد ذلك، وتراوحت شروحها ما بين الاختصار والتطويل، ومنها ما مزج بين المتن والشرح، ويعد شرح ابن عقيل (ت69هـ)، وشرح ابن هشام (761هـ) في أوضح المسالك إلى ألفية مالك من أشهر الشروح.

مُغني اللبيب عن كتب الأعراب : لابن هشام الأنصاري أيضاً، ومن جيد شروح المغني، "حاشية الدسوقي" لمصطفى عرفة الدسوقي وهو من أكابر علماء العربية، وقد شرح الكتاب، شرحاً وافياً، وخدمه خدمة تامة، وكتاب آخر لابن هشام الأنصاري شذور الذهب في معرفة كلام العرب، وهي رسالة صغيرة في النحو، ثم شرحها - رحمه الله - كعادته وسمي مختصره ب"شذور الذهب في معرفة كلام العرب"، أتى فيه ابن هشام على كل شاردة وواردة ، وكان دائماً قصده ، تسهيل النحو على طالبيه ، وتقريبه إلى أولي الألباب.

- وآخر الكتب النحوية هو الكتاب لسيبويه، حيث لم يعتمد في كتابه على مجرد الأخذ عن أهل هذا الفن فحسب ، بل اعتمد على أصل عظيم وهو " السماع أي شافه العرب وأخذ عنهم مباشرة، مما يجعلنا نحكم على صحة ما في الكتاب، هذا وجدير بالتنبيه أن كتاب سيبويه تضمّن شروحات عديدة، ومن أحسن شروحه وأجودها "شرح السيرافي" أبي سعيد بن مرزبان (ت: 368هـ)، فقد شرح الكتاب شرحاً وافياً ، فبين مبهمه ، وفتح مقفله ، ورتّب أبوابه ، وأزال غموضه ، وقد أعى السيرافي من جاء بعده من الشراح ، فبرزت شهرته بشرح أعظم كتاب في النحو فأتت أنه ذو أحكام نقدية عادلة، وقدم راسخة في النحو ، فجاء شرحه للكتاب عصاره فكره ، وغاية جهده.

- وينبغي أن نشير أنّ علم النحو يحتاج إلى علم الصّرف، فهما علما يكادان يكونان متلازمين، فكثير من دروس النحو لا تفهم إلا على ضوء علم التصريف، وليست هذه الكتب التي ذكرناها على سبيل الحصر، بل استناداً إلى الترتيب والتدرّج في النحو، وإلا فهناك معالم أخرى يرجع إليها الطالب حسب التّبوغ والتّقّدّم، ولكن بعد التدرّج على هذه الكتب، فبعد ذلك يمكن لطالب النحو أن ينظر في غيرها من الكتب ، وخاصة التي كتب التي ذكرت الاختلافات النحوية ، ورجّحت الصواب.

- هذا وعلى طالب النحو أن ينظر في المدونات التي تعين على تعلّم النحو، مثل القرآن الكريم، والحديث النبوي، وكذا الشعر الفصيح، كشعر المعلّقات السبع، وغيرها، وعليه أيضاً أن يصبر على التّحصيل ، فلا ينال العلم عموماً ، والنحو خصوصاً إلا بطول الزّمان، والله من وراء القصد، والحمد لله ربّ العالمين، وصلاته وسلامه على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه الطّاهرين.

5. قائمة المراجع:

- أبو البركات كمال الدين بن الأنباري. نزّهة الألباء في طبقات الأدباء. الأردن: مكتبة المنار الزرقاء.

- أبو سعيد السيرافي. (2008). شرح كتاب سيبويه. لبنان: دار الكتب العلمية.
- أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي. (2009). الأجرومية. الجزائر: دار الإمام مالك.
- أحمد الحملوي. (2012). شذا العرف في فن الصرف . بيروت: المكتبة العصرية .
- جلال الدين السيوطي. (2007). الأشباه والنظائر في النحو. الجزائر: دار الأبحاث.
- جلال الدين السيوطي. (2006). الإقتراح في أصول النحو. دمشق: دار البيروتي.
- جلال الدين السيوطي. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة.
- جمال الدين بن هشام الأنصاري. (1994). قطر الندى وبل الصدى. بيروت: المكتبة العصرية.
- شرف الدين يحيى العمريطي. (د-ت). متن الدرة البهية لنظ الأجرومية. الجزائر: دار الامام مالك.
- شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي ابن حجر العسقلاني. (1975). الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. الهند.
- عبد الرحمن بن خلدون. (2006). المقدمة. القاهرة: الدار الذهبية.
- عبد القاهر الجرجاني. (1997). دلائل الإعجاز. بيروت: دار الكتاب العربي.
- مالك بن سالم بن مطر المهذري. (2013). الممتع في شرح الأجرومية. الجزائر: دار الإمام مالك.
- محمد الحباس. محاضرات في فقه اللغة.
- محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي. (د-ت). ألفية ابن مالك في النحو والتصريف. السعودية: مكتبة دار المنهاج.

- مصطفى محمد عرفة الدسوقي. (2009). حاشية الدسوقي على مغني اللبيب. دار ومكتبة الهلال.